ما فعلَ رسولُ الله؟!

حين فرغ رسول الله ﷺ من معركة أُحد ، مرّ ببني عبد الأشهل ، وهم يبكون شهداءهم .

وكانت أم عامر الأشهلية قد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها ، مع رسول الله ﷺ في أحد ، فلما نُعوا لها ، استرجعت .

ثم قالت : فما فعل رسول الله؟ قالوا : خيراً يا أم عامر ، هو بحمد الله كما تُحبّين .

قالت : أرونيه ، حتىٰ أنظر إليه؟

فأشير لها إليه عليه الصلاة والسلام ، حتىٰ إذا رأته سليماً قالت : كل مصيبة بعدك جلل ـ أي : هيّنة صغيرة ـ يا رسول الله .

فدعا لها الرسول ﷺ بخير .

وجاءت كبشة بنت رافع أم سعد بن معاذ رضي الله عنهم تعدو نحو الرسول ﷺ ، وهو علىٰ فرسه ، وابنها سعد آخذٌ بعنان الفرس .

فقال سعد : يا رسول الله ، أمّي ، فقال : «مرحباً بها» .

قال : فدنت حتىٰ تأمّلت وجه رسول الله ﷺ ، فاستبشرت ، ثم قالت : أما إذا رأيتك سالماً ، فقد أشْوَت[1] المصيبة .

فعزاها رسول الله ﷺ بولدها عمرو بن معاذ ، ثم قال : «يا أم سعد ،

---

(١) أي : خفّت وهانتْ .

أبشري وبشّري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شُفّعوا في أهليهم».

قالت: رضينا برسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟

ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلّفوا.

فرفع الرسول ﷺ أكفّه وقال: «اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف علىٰ من خلّفوا»[1].

أجل!

عندما عرف الصحابة الأماجد كثيراً مما ورد من صحيح الأخبار بعظيم قدر المصطفىٰ ﷺ ، أحبّوه.. وأطاعوه.. وقدّموا بين يديه الغالي والنفيس.

من ذلك ما أورده الطبراني بالسّند المتصل إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخَلق قسمين ، فجعلني من خيرهم قِسْماً.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] ، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١] ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خيرُ أصحاب اليمين.

ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثُلثاً ، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ ـ ١٠] فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣] ، فأنا أتقىٰ ولد آدم ، وأكرمهم علىٰ الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً ، فجعلني في خيرها بيتاً ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» [الأحزاب: ٣٣][2].

---

(١) سيرة ابن كثير: ٣/ ٩٣ ، سيرة ابن هشام: ٣/ ١٠٥.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ٨/ ٢١٤.

لـم يمتحنّـا بمـا تعيـا العقـول بـه ... حرصاً علينا فلم نرتَبْ ولم نهمِ
أعيـا الـورىٰ فهْـمُ معنـاه فليـس يُـرىٰ ... فـي القـرب والبُعـد فيـه غيـر مُنفحـمِ
كـالشمـس تظهـر للعينيـن مـن بُعُـدٍ ... صغيـرةً ، وتكـلُّ الطّـرف مـن أمـمِ
وكيـف يـدرك فـي الـدنيـا حقيقتـه ... قـومٌ نيـامٌ تسلّـوا عنـه بـالحُلُـمِ
فمبلـغ العلـم فيـه أنـه بشـرٌ ... وأنـه خيـر خلـق الله كلّهـمِ
وكـل آيٍ أتىٰ الـرسـل الكـرامُ بهـا ... فـإنمـا اتّصلـت مـن نـوره بهـمِ
فـإنـه شمـس فضـلٍ هـم كـواكبهـا ... يظهـرن أنـوارهـا للنـاس فـي الظلـمِ

* * *